التعريف بباي بن عمر الكنتي:

قلّت تراجم هذا العلم إذا قورنت بجده محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي المتوفى سنة 1226هـ وكان قد فاق التسعين سنة كما قال صاحب تذكرة المحسنين[1] صاحب كتاب "الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد"، وهو هو محمد باي بن الشيخ عمر بن الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكنتي ولد على الأرجح (1282هـ/ 1865م) بأدرار إفوغاس منطقة الأزواد تولى الشيخ الزعامة الروحية لقبيلة كنته في أدرار ايفوغاس وجعل عدة قبائل من التوارق تخضع له، وعند موت أخيه سنة 1896م أصبح القائد الديني لكنتة بعدما تعمق في التقوى والدراسة وعيشة الزهد البعيدة عن الأنظار مع كثرة الصيام وعلى هذا المنهج كون عدة أجيال على أسس إسلامية مما جعل عدة قبائل من الطوارق تخضع له. وفي سنة 1318هـ/1900م أصبح يقيم في تليا وبعدما خضعت قبائل الكونتة للفرنسيين سنة 1899م وعندما أصاب الجفاف هذه المنطقة ارتحل إلى النيجر وبقى بعيدا عن مفاوضات فرنسا ظنا منه أن ابتعاده عن قاو هو سبب كاف لابتعاده عن الفرنسيين. وفي سنة 1902م دخل علاقات بمنطقة عين زيزة مع القائد الفرنسي لبيرين الذي استغل عمله القضائي وراسله لينظر في قضية الخلاف بين قبائل تايتوف اهنات وافوراس أدرار فبتدخله خفف من حدة النزاع بينهما وعندئذ أصبحوا يقدمون له النزعات وحولوه إلى القاضي الرسمي بالمنطقة، إضافة إلى كونه داعية للإسلام في أوساط الطوارق الايفوراس ومقدما في الطريقة القادرية[2]، تخرج على يديه الكثير من الطلبة منهم الشيخ محمد بن بادي، والشيخ محمد أمك توفي سنة (1345هـ/ 1927م) ترك العديد من المؤلفات منها "إرشاد المريدين"، "شرح ورقات إمام الحرمين الجويني"، ولعل من أشهر مؤلفاته كتاب النوازل أو الفتاوى كما ورد في بعض المصادر محل الدراسة[3] .

ورغم كون الشيخ باي بن عمر شخصية ذات ملامح محلية إلا أن علمه وتأثيره وصل إلى مناطق الجنوب الغربي أو الجنوب كله، ليس لاعتباره الصوفي كونه مقدما في الطريقة وانتمائه للأسرة العلمية المذكورة بل كذلك لإمكانياته العلمية التي تظهر جليا من خلال المخطوط الذي يدل على سعة إطلاعه، لا من حيث تعدد مشايخه –وأغلبهم آباءه– بل كذلك تعدد مصادره، ولا يقصد هنا المقاصد التقليدية المعروفة في المذهب المالكي، بل كتب النوازل التي أكثر الشيخ من النقل عليه اعتبارا لمبدأ العرف الفقهي السائد عند المالكية.

وصف المخطوط:

المخطوط محفوظ بمسجد مصعب بن عمير بأولف بأدرار مسجل تحت رقم 10، وهو مكتوب بخط مغربي واضح المعالم والحروف، استعمل في الحبر الأسود والأحمر مقاسه 21 X 22 سم، عدد أوراقه 409 ورقة، يبدأ "بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد نريد أن نرتب نوازل الشيخ غوث العالمين وخاتمة المحققين شيخنا وسيدنا وملاذنا وعمدتنا شيخنا سيدي باي بن سيد عمر"، وينتهي بـ:" تمت المقابلة بحمد

الله وعونه وتوفيقه بعد عصر يوم الإثنين من شعبان على يد مالكه محمد بن مصطفى التيطي رزقنا الله البركة والنفع بجاه صاحب هذا التأليف ءامين" ويذكر قبله أنه الانتهاء منه عام 1382هـ وذكر نقله ولم يذكر كتابته أو نسخه وعلى هامشه كتب أنه تم مقابلته سنة 1371هـ وقد يفهم من هذا التصحيح وأن تاريخه يعود إلى ما قبل المذكور في آخر المتن على يد أحد أحفاده محمد بن حماد بن حبيب الله بن المختار بن عمر بن سيدي المختار الكبير فالناسخ إذن من العائلة.

ويلاحظ من جهة أخرى أن هذه النوازل قد تكون إملائه أو نقلت عنه رواية ويُستبان ذلك من ألفاظ الناسخ المتعددة وهي:

-وأجاب عما يظهر من جوابه.

-وأجاب عما يعرف من جوابه.

-وأجاب عما يفهم من جوابه.

وقد جاءت هذه الألفاظ في مواضع متعددة من أو تلامذته رغم أن تقريبا الخط نفسه من البداية، ونضيف هنا أن هذه النوازل قد ألحق في آخرها نوازل الشيخ عمر بن علي الكنتي بداية من الورقة 362 (وجه). فهل يمكن القول أن هذه النوازل هي لمختلف أفراد هذه العائلة الكنتية تداول عليها بعضهم البعض؟ أم أن تلامذتهم قاموا بجمعها، فإن القارئ يجد نقلا كاملا لبعض فتاوى أجداده كالمختار وغيره، والحقيقة أنه من الصعب الجزم بذلك ما لم يتم الوقوف على نسخة بخط يده.

وقد رتبت أبوابه حسب الترتيب الفقهي المعهود والمعروف من العبادات والمعاملات وهكذا، مع بداية في مسألة عقدية كما درج على ذلك مالكية المغرب والأندلس.

مصادر كتب نوازل الشيخ باي:

تعددت المصادر الفقهية التي استعملها الشيخ في نوازله إلا أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين:

- كتب الفقه التقليدية.
- كتب النوازل المالكية.

وإذا كانت كتب الفقه المالكي التقليدية معروفة للمختص مثل المدونة والموطأ وكلا هما للإمام مالك بن أنس الأصبحي (93 هـ/715م-179 هـ/796م) والرسالة لابن أبي زيد القيرواني(386310هـ/922- 996م) وكتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي (422هـ/1031م) وغيرها من أمهات الفقه المالكي، إلا أننا سنتجه في التركيز على كتب النوازل المالكية التي اعتمدها المؤلف التي أكثر من النقل عنها ونذكر منها على حساب الترتيب الذي جاءت به ورقات المخطوط متتالية حسب أبوابها الفقهية:

1. نوازل الونشريسي: وهي النوازل المشهورة لأحمد بن يحي الونشريسي (834-914هـ/1430-1508م) وقد بدأ في تأليفه سنة 890هـ / 1485م إلى وفاته [4]، وقد طبعت هذه النوازل بالمغرب الأقصى سنة 1401هـ/1981م.
2. نوازل عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي [5](1152 –1233هـ/ 1739 – 1818م)، وقد ذكر المترجمون له أنه قد ألف مختصرا لنوازل البرزلي وله نوازل الفقه وأخرى في التوحيد، والظاهر أن نوازله هذه في الفقه.
3. النوازل الرسموكية والظاهر أنها البرجية، لعبد العزيز بن أبي بكر الرسموكي السوسي [6] (ت1065هـ/1655م). وإضافة إلى الأجوبة التي احتوتها، فإنها تضم محاورات فقهية بينه وبين بعض الفقهاء في سوس ومراكش.
4. نوزال عليش وهي "فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك" وهي لمحمد بن أحمد بن محمد المعروف بعليش [7] أبو عبد الله (1217- 1299هـ / 1802-1882م) وكذلك نقل عنه بعض فتاويه.
5. نوازل ابن الأعمش التي تعود إلى بان الأعمش الجكني [8] إلا أننا لا نستطيع الجزم أنها مطلقا له فلابنه أحمد دكنا بن الأعمش التاجاكنتي[9] وكذا للجد ألفغ بن الأعمش نوازل أخرى.
6. النوازل القصرية وهي نوازل القصري وهو (محمد المختار بن عثمان القصري) [10].
7. نوازل البرزلي وهي النوازل المعروفة لأبي القاسم البرزلي (740-842هـ) التي اعتمد عليها الونشريسي في نوازله وذكر أنه اختصرها، ويظهر أن المصنف هنا اعتمد على النوازل كلها لا المختصرة.
8. نوازل الورزازي وهي لمحمد بن محمد الدليمي الورزازي[11] (ت1166هـ) وقد ذكر عبد الكبير الفاسي أنها مسائل سُئِلها وأجاب عنها [12].
9. نوازل أبي الحسن الصغير وهي نوازل أبي الحسن الصغير علي بن عبد الحق الزرويلي الفاسي[13] (ت719هـ/ 1320م)، وقد طبعت طبعة حجرية بفاس سنة (1319هـ).
10. نوازل الشريف حمى الله وهو أحمد بن الإمام احمد بن حمى الله بن أحمد بن هند الشغ النشبتي [14] .
11. نوازل السكتاني وقد وُجد اسمان لهذه الكنية لهما نوازل لكل منهما أولاهما مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال، وعنوان الشرعة وبرهان الرفعة في تذييل أجوبة فقيه درعة، كلاهما لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن السكتاني الكيكي[15] (ت 1185هـ) وقد حقق النوازل الأولى الأستاذ أحمد التوفيق، ونشرت في بيروت سنة 1997، وأجوبة أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن الرجراجي السكتاني المالكي[16] (ت 1061 هـ/1651م) مفتي مراكش، إلا أن الشيخ باي لم يذكر أيهما فكان يسميه السكتاني ولا ندري أيهما الكيكي أو الرجراجي.

12.نوزال الهلالي وهي أجوبة إبراهيم بن هلال بن علي[17] وله أيضا "النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير" ولعل التي أخذ عنها باي هي حسب ما يظهر من المخطوط.

النشاط العلمي بتوات خلال الفترة الحديثة:

لعل الواقف على مخطوط النوزال للشيخ باي يلاحظ تعدد الملامح التي كانت في هذه البلدة عبر إشاراته التي تناولت شتى المجالات السياسية والدينية والاقتصادية، فقد أشار إلى الاحتلال على انه متغلب وأنهم أخذوا الأرض عن أهلها قهرا[18]، وكان الشيخ ينكر على الفرنسيين وتصرفاتهم[19]، كما أنه كان يعتقد أن المسلمين حكمهم في هذا الحال كحكم الأسرى عندهم[20]، وأنهم –أي الفرنسيون– حربيون وقد اتبع في هذا فتوى بالمعيار ظهر فيها نزاع بين أبي عبد الله السرقسطي وأبي يحي بن عاصم[21]، ويظهر أنه قد أفتى بأنه عند زوال السلطان ببلد فإن العدول بالبلد يقومون مقام السلطان[22] وفي هذا إشارة إلى المناطق التي زال عنها السلطان بفعل الاستعمار في الشمال، ومن المظاهر التي تدل على تفاعل الفقهاء في كنتة مع الوضع السياسي الجديد هو استبدالهم الحدود بالتعزي بالمال لتعذر إقامتها[23]، كما يذكر عدة إشارات إقتصادية لها علاقة مباشرة بتغير العملات بسبب السيطرة الاستعمارية ويفتي حسب كل حالة[24] كما تحدث عن بعض الأوضاع الاجتماعية مثل الانحرافات الخُلقية التي أنكر على أصحابها[25]، إلا أنه أشار إلى مظاهر صحية عرفها المجتمع المغربي عموما وهذه المنطقة خصوصا عندما تحدث عن تحسن العلاقات بين أهل البادية من الأعراب وأهل الحضر خاصة العلماء منهم الذين أضحوا محل تقدير عندهم[26]، وقد ظهرت رغم كل هذا– كثير من الإشارات التي تصف الحالة العلمية التي كانت في هذا الإقليم وهي المعول عليه هنا، ففي مجال التعليم تحدث عن تعليم النساء وهذا يدل على اتساع دائرته التي أصبحت تحوي النساء وانحصار الأمية في المنطقة[27]، وأشار إلى الفلسفة ووجوب أخذها عن شيخ متمرس وأطنب في ذلك[28]، ويمكن القول من خلال هذا أن الفقهاء قد أظهروا – في هذه الفترة – نوعا من اللين في تعلمها مقارنة بالفترات السابقة التي بدا فيها تحفظ من تعلمها، كما أنه حذر من قراءة كتب البوني[29] صاحب كتاب "شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف" المشهور الذي قيل أنه في السحر، وله كتاب "منبع أصول الحكمة" وفصل في الحديث عن كتابه هذا وعن لم يشر إلى عنوانه إلا أن الظاهر هنا كتاب شمس المعارف لشهرة تداوله[30]، ومن خلال كثير تداوله لبعض المصادر الفقهية يمكن القول إضافة إلى ما سبق تركيز المغاربة على الفقه التقليدي وميلهم لتعلمه كعادتهم القديمة في تفضيله على سائر العلوم وعن احتوى لما ذكر من علوم كالفلسفة فالراجح أن يعود إلى تغير الأوضاع في هذه الفترة، وهناك إشارات أخرى تدل على ممارسة الطب، بصورته التقليدية الممزوجة بالطب النبوي، فقد ذكر أوجه استعمال الرقية للعلاج من الأسقام واخذ الجرة عليها[31]، كما أنه تحدث عن الحرز في العلاج وأجرته وضمان كاتب الحرز ومقابله العيني[32]، وهنا أصل المسألة ضمان المدبر في العلاج كما في أبواب

الفقه،و في هذه النوازل نجد الحديث عن الفصد واستعمالها في علاج مرض الجدري وأشار إلى اختلاف الناس في المسألة[33]، وقد يفهم من هذا ظهور المرض أو أنه أصبح وباء، وهكذا يمكن القول أن الكنتيين عموما في توات كانوا يمثلون ظاهرة علمية رائدة متأثرة بالعلوم في الشمال وناشرة له في هذه المناطق التي استبدل اسمها إلى الصحراء أو الجنوب في الفترات المتأخرة وهو ما يلاحظ كذلك في الجانب الديني.

مظاهر النشاط الديني في توات:

ارتبط النشاط الديني بالنشاط العلمي بأغلب مناطق المغرب ولم تشذ توات عن هذه الحالة فيما بدا من فتاوى باي بن عمر فالفقه كان وسيلة لتعرف الأحكام الشرعية وفي نفس الوقت هو علم يدرس ويؤلف فيه، وقد ظهرت علوم أخرى قعّد لها أمثال الكنتيين في توات وضعوا الضوابط لها، ومن هذه العلوم التصوف، إلا أن هذا العلم برز فيه بعض المنتسبين لهم الذي تصدى لهم أمثال باي الذي انتقد تصرفاتهم بوضوح بل إنه نقل أرجوزة ابن قيم في هذا الباب [35]، كما أنه خص التجانيين بالإنكار على ما أحدثوه من بدع وذكر براءة متقدميهم من بعض أفعالهم [35]، أشار إلى أن مثل هذه الانحرافات هي في قلة من أتباعهم إلا أنه لم يفصل في الحديث عن أحوالهم –كعادته في التورع في مثل هذه الأحوال–، ومن أمثلة إنكاره لمدعي المهدية وأفتى بأن مدعيها يستحق التأديب والتكذيب لعدم وفرة الشروط ولم يشر إلى صاحب الدعوى ولم يرد في السؤال ذلك[36]، ونذكر هنا أن ابن خلدون تحدث في مقدمته أن مثل هذه الدعاوى وما شابهها بقيت في المغرب حتى زمانه[37] مع ذلك تحدث في أجوبته وكذلك أظهرت بعض الأسئلة المطروحة عليه انتشار التدين بين الناس حيث أصبحوا يتخذون بيوتا للعبادة خاصة بالنساء في ديارهم خاصة في توات[38]، فقد كان الفقهاء المتصوفة يلعبون دورا هاما في إصلاح المجتمعات وإلزامها بدينها يبدو ذلك في هذه النوازل وفي تراجم أصحابها الذي لم يقف عملهم عند التعليم النظري بل تجاوزه إلى الميدان بمثل هذه المواقف ومواجهتهم للتحديات الكبرى التي عرفتها المنطقة بدءا من تغير الأوضاع السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية ومحاولة إيجاد حلول عملية تطبيقية تدل على مدى سعة ورحابة أفق هؤلاء الأعلام زيادة على تمكنهم العلمي الذي شهد له مترجمهم وبدا في كتبهم النظرية كالشروح والحواشي والعملية مثل هذه النوازل.

ولعل الواقف على مثل هذا التراث يغريه حاله بضرورة إخراجه للواقع عبر تحقيقه ونشره ولاشك أن الندوات والمحاضرات المتتالية هي سلسلة متكاملة في هذا الباب.

الهوامش:

1– عبد الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحادث السنين، ضمن كتاب موسوعة أعلام المغرب تحقيق وتنسيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت ،ط1: 1417–1996م، ج.7، ص:2486.

2– محمد حوتية، مخطوطات إقليم توات عرض وتقديم لمخطوط نوازل الشيخ باي الكنتي، مجلة الثقافة، مجلة تصدر عن وزارة الثقافة الجزائرية عدد 117 . 118،سنة 1999، الجزائر، ص:285.

3- عمر باحمد دمه الكنتي: الزوايا الكنتية أعلاماً وجغرافية، النيجر، 2005م. ص 46. وكذلك:محمد الصالح حوتيه:توات والأزواد، دار الكتاب العربي،الجزائر،2007م.ص: 296.

4- محمد بن عساكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من القرن العاشر، منشور ضمن موسوعة أعلام المغرب العربي، ج2، ص:824.

5- هو صاحب مراقي السعود في الفقه عالم موريتاني واسع المعرفة، رحل أربعين سنة في طلب العلم. وقد أخذ عن علامة النحو والمنطق المختار بن بونه الجكني كما أخذ اللغة العربية عن العلامة سيدي عبد الله بن الفاضل بن بارك الله بن أحمد بن أبي زيد اليعقوبي وكان ذلك في تيرس الغربية. وقد رحل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم من تيرس إلى المغرب حاجا وحلّ بفاس فأكرمه سلطانها. ولقي الشيخ محمد بناني بعد عودته من الحج فأخذ عنه بعض العلوم الأصولية، وقد ألّف سيدي عبد الله مؤلفات كثيرة من أهمها:"مراقي السعود" وشرحه "نشر البنود "و"طرد الضوال والهمّل": -سيد محمد بن محمد عبد الله ولد بزيد، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي. منشورات سعيدان سوسة الجمهورية التونسية، 1996، تونس ص-ص: 36-37.

6- هو عبد العزيز بن أبي بكر بن يعقوب بن يحيى بن اسحق بن محمد بن أبي بكر البرجي الرسموكي أخذ عن محمد عبد الله بن يعقوب السملالي وعلي بن أحمد الرسموكي وأبي مهدي السكتاني كان عالما جما بين اللغة والفقه والحساب له تآليف عديدة ونظم منها "نظم في العلوم الفاخرة" تولى القضاء بإيليغ ثم توفي بوادي هشتوكة: محمد المختار السوسي، المعسول، المغرب للنشر والطبع، بدون سنة، ج5، ص:21.

7- (الشيخ عليش) (1217 - 1299 هـ/ 1802 - 1882م) محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله: فقيه، من أعيان المالكية. مغربي الأصل، من أهل طرابلس الغرب. ولد بالقاهرة وتعلم في الأزهر، وولي مشيخة المالكية فيه. ولما كانت ثورة عرابي باشا اتهم بموالاتها، فأخذ من داره، وهو مريض، محمولا لا حراك به، وألقي في سجن المستشفى، فتوفي فيه، بالقاهرة. من تصانيفه: فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك وهو مجموع فتاواه، ومنح الجليل على مختصر خليل. الزركلي (خير الدين)، الأعلام ،دار العم للملايين بيروت 2002، ج6،ص:19.

8- محمد المختار بن الأعمش: قال عنه السوي في كتابه المعسول:"وكان عالما جليلا يدوي صيته في كل هذه الجهات. وهو فريد في العلوم وفي القراءات.فإليه يصار في حل المعضلات، وفتح أبواب المشكلات. كان تعلم على والده وعلى غيره من علماء شمامة، ثم نزل بالشيخ سيدي محمد ابن الشيخ سيدي المختار الكنتي. فلازمه حتى صار بحرا عظيما متموجا كبيرا في كل ناحية من نواحي حياته. ويقولون أنه لم يبطىء عنده. وقد استخدمه الشيخ في نساخة كتاب,ففتح عليه في الحين. ثم ودعه فذهب إلى أخواله آل تاجاكانت بزمور فشارطه رئيس من تلك القبيلة يقال له الديماني يصلي به ويعلم بنيه. وزوجه بنتيه بالتتابع، وهما أمهات بعض أولاده.وبعد موت الديماني فارق شمامة. وكان المترجم هو الذي أشار على تاجاكانت أخواله ببناء مدينة تيندوف، فكان أول ما بنى فيها المسجد الأعظم.يخدم فيه حتى النساء المحتجبات ليلا، والرجال نهارا احتسابا لله. ثم شرعوا في بناء الدور وذلك [عام1270 [هـ/[1853م] أو في 1271هـ/[1854م]. وكان يدرس هناك الحديث. وقد مر هناك العلامة الشهير في الشرق محمد محمود التركزي، فبقي هناك ما شاء الله يدرس صحيح البخاري ثم توجه إلى المشرق.كما مر هناك الشيخ ماء العينين فصلى في المسجد ما شاء الله، ومحمد يحي الولاتي في رحلته إلى الحج. وكان من عادة محمد المختار أن يهتم] بفصل الخصومات وبدراسة العلم. وكانت له مؤلفات منها مؤلف عندي وهي رسالة صغيرة، وعنده غيره. وكان صالحا مكرما خصوصا لآل البيت. توفي 1285هـ[1868م]، ودفن في تيندوف في مشهد عليه قبة بناها الشريف مولاي علي بن التهامي من تلاميذه، وهو صهره على بنت من بناته:

-السوسي، المصدر السابق ،ج.18،ص:161.

9- نفسه وما بعدها من الصفحات.

10- كان ينقلها عن فتاوى أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي (865هـ/1461م): -ورقة 335 ظهر.

11- هو محمد بن محمد بن عبد الله الورزازي الدرعي دار الرملي نجارا و نسبا كان فقيها مشاركا في فنون شتى كالعربية والحديث وعلم الكلام والتصوف، له شرح على لامية الزقاق وشرح على المقنع لابن سعيد وله أجوبة عن مسائل سئل فيها، وتصدر للتدريس بزاوية سيد حسين بن ناصر في درعة، حج وجاور مكة وبها دفن سنة 1176هـ/1762م:

-الفاسي، المصدر السابق، ج6، ص:2178.

12- نفسه.

13- يكنى أبا الحسن ويعرف بالصغير بضم الصاد وفتح الغين والياء مشددة. قال بن الخطيب في الإحاطة كان هذا الرجل قيماً على تهذيب البراذعي في اختصار المدونة حفظاً وتفقهاً يشارك في شيء من أصول الفقه يطرز بذلك مجالسه مغرماً به بين أقرانه من المدرسين في ذلك الوقت لخمولهم من تلك الطريقة. وكان يدرس بجامع الأصدع من داخل مدينة فاس ويحضر عليه نحو مائ، وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته ترد عليه السؤالات من جميع بلاد المغرب فيحسن التوقيع على ذلك على طريقة من الاختصار وترك فضول القول،ولي القضاء بفاس قدمه أبو الربيع سلطان المغرب وأقام أوده وعضده فانطلقت يده على أهل الجاه فأقام الحق على الكبير والصغير وجرى في العدل على صراط مستقيم، أخذ عن الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي وانتفع به وعليه كان اعتماده وأخذ عن صهره أبي الحسن بن سليمان وأبي عمران الحوراني وعن غيرهم وقيدت عنه تقاييد على التهذيب وعلى رسالة بن أبي زيد قيدها عنه تلاميذه وأبرزها تأليفاً كأبي سالم بن أبي يحيى وصل رسولاً إلى الأندلس على عهد مستقضيه ودخل غرناطة. توفي عام تسعة عشر وسبعمائة:

-ابن فرحون (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ط1: 1229هـ، مطبعة السعادة، القاهرة، ص:212.

14- لم أقف لترجمة له سوى ما ذكره الدارس عبد الرحمان محمد بلحاج علي بجريدة الشعب الموريتانية من أن له كتاب شرح نظم لباب الفرائض لخليل:

-عبد الرحمان محمد بلحاج علي، تحقيق حسام العدل والإنصاف القاطع لكلّ مبتدع باتباع الأعراف لمحمد يحي بن محمد المختار بن الطالب عبد الله الولاتي، دار الميزان للنشر في سوسة تونس، طبعة أولى سنة 2008م، ص:34.

15- ذكره صاحب اتحاف المطالع وقال عنه أنه توفي في رجب من عام 1185هو أنه كان فقيها مشاركا في العلوم و له نوازل و له حاشية على نوازل العباسي: عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ،موسوعة أعلام المغرب،ج7، ص:2397

16- هو عيسى بن عبد الرحمن السكتاني أبو مهدي قاضي تارودانت ثم مراكش صاحب الفتاوى المشهورة وقد نقل عنه صاحب الفتاوى البرجية المذكورة أعلاه توفي يوم السابع من صفر 1061هـ/1651م: - السوسي، المصدر السابق،ج5، ص:15.

17- لعله المتوفى سنة 903 كما ذكر صاحب لقط الفرائد وذكر أن له مختصر على الديباج وأن له إضافات عليه: أحمد بن القاضي، لقط الفرائد من لفظات حقق الفوائد، موسوعة أعلام المغرب، ج2،ص:811.

18- باي بن عمر الكنتي، النوازل، مسجد مصعب بن عمير، رقم 10، ورقة 343 وجه.

19- باي بن عمر، المصدر السابق، ورقة 171 وجه.

20- باي بن عمر، المصدر السابق، ورقة 16 وجه.

21- نفسه ورقة 343 ظهر.

22- باي بن عمر، المصدر السابق، ورقة 349 وجه.

23- باي،المصدر السابق،368 وجه.

24- كاستعمال الدراهم الورقية، واستعمال العملات الفرنسية و الريالات التي كان يضربها الفرنسيون ولا ندري هل هي الريال الذي عرف في العهد العثماني بقي التعامل به أم أنها تسمية عابرة فقط عملة أخرى سماها السليات ويتحدث عن تغير حال الأوقاف بعد السيطرة عليها: - ورقة 267 وجه. - ورقة 284 وجه. - ورقة 320 وجه.

25-كاصطحاب المومسات في الجيوش آن ذاك، وبعض الطلبة الذي كانوا يأكلون أموال الناس عبر كتاب أجوبة للمكلين في القبر لكي يجاوب الميت حسب زعمهم ويبيعونها لأصحاب الميت، وكذلك رفع الأصوات في الأعراس واختلاط الرجال بالنساء فيها: - ورقة 22 وجه. - ورقة 124 وجه. - ورقة 388 وجه.

26- ويلاحظ عكسه في المعيار: -ورقة 315 وجه.

27-ورقة 392 وجه.

28- ورقة 299 وجه.

29- هو أحمد بن علي البوني: تقي الدين صوفي اشتهر في التصنيف بالعلوم الخفية كتبه لا تزال معتمدة إلى اليوم منها ما ذكر أعلاه توفي سنة 622هـ/1225م: -عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت ،ط3: 1403هـ/1983م، ص:47.

30- ورقة 301 وجه.

31- ورقة 297 ظهر.

32- ورقة 289 وجه.

33- ورقة 367 وجه.

34- ورقة 22 ظهر.

35- ورقة 24 وجه.

36- ورقة 18 وجه.

37- فقد ذكر كلاما مهما في فترة متأخرة عن دولة العبيديين الفاطميين حيث عدد ممن ادعى المهدية و نذكر منهم: - التويوزي الذي ظهر بالسوس وكان من المتصوفة وقد أثر في عامة البربر وقضى عليه كبير المصامدة عمر السكسيوي. - رجل آخر في ظهر في قبيلة غمارة ادعى ذلك يعرف بالعباس واستولى على بادس ثم قتل بعد أربعين يوما من ظهر دعوته. -كذلك قدم رجل من أهل كربلاء مريد أمر المهدية والتشيع إلا أن أقوة السلطان أبو يوسف بن يعقوب آن ذاك ونفوذه جعلاه يتراجع عن الأمر. ابن خلدون (عبد الرحمن ولي الدين أبو زيد الحضرمي)، المقدمة، طبعه مصر سنه 1327هـ، ص:290و ص: 367.

38- ورقة 86 وجه.

مخطوط رحلة الشيخ التنلاني وإسهاماته التاريخية (1231هـ/1816م)

أ. هرباش زاجية

جامعة معسكر

تزخر خزائن المخطوطات في الجزائر بإرث تاريخي حضاري عظيم، لم يتم بعد كشف كنوزه والاطلاع عليها، ومنها خزانة كوسام بأدرار التي تتوفر على كم هائل من المخطوطات في مختلف العلوم منها رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنلاني إلى الجزائر.

1)- التعريف بمركز كوسام:

يقع هذا المركز بمنطقة تيمي بأدرار، التي تبعد عن مقر الولاية بـ :3 كلم،[1] وتتميز بشهرة علمية واسعة يعود الفضل فيها بالدرجة الأولى إلى أسرة البلباليين، وعلى رأسهم العلامة عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي، الذي ولد بقصر ملوكه في سنة1250هـ /1834م، تتلمذ على يد والده الشيخ أحمد الحبيب فتضلع في مختلف العلوم منها اللغة، والنحو، والعروض، ورواية الشعر، التي لم تثنه عن التميز والتألق في مجال التفسير، القراءات، والفقه،[2] وبدوره فلقد تتلمذ على يديه الكثير من الطلبة منهم القاضي محمد بن عبد الكريم البكري[3]،كان له الفضل في إنشاء مدرسة كوسام في شهر ربيع الثاني من سنة1278هـ /1859م،كما تولى القضاء في سنة1328هـ /1899م، ويعتبر أول قاض تولى منصبه في عهد الاستعمار الفرنسي توفي في عصر يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة 1329هـ/1900م[4].

تحتوي خزانة كوسام على مخطوطات كثيرة في شتى العلوم كالفقه، والنوازل مثل نوازل الجنتوري، والزجلاوي، وتراجم لعلماء المنطقة التي شكل القاضي العلامة عبد الكريم المغيلي أساسها لدوره الفعال في إبعاد اليهود منها الذي تم على يديه، ومن بين هذه المخطوطات القيمة رحلة التنلاني سواء صنفناها في خانة المؤلفات الأدبية لأنها تمثل نموذجا من أدب الرحلات على غرار رحلة العياشي،[5] أو التاريخية لأنها تصف أحداث قصف الجزائر العاصمة الذي تعرضت له في سنة 1231هـ/1816م والمسماة بـ:"رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس التنلاني".[6]

2)- التعريف بالمؤلف:

هو الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنلاني، توفي في سنة1233هـ/1818م ،لا تتوفر المصادر على معلومات كثيرة حول حياته ما عدا رحلته التي قادته إلى الجزائر العاصمة، وبعض القصائد التي رثى فيها الشيخ عمر بن عبد الرحمن التنلاني وابنه الشيخ الحاج عبد الله، حيث عدد فيها خصالهما العلمية والاجتماعية منها هذين البيتين: